

وصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام) لجابر بن يزيد الجعفي (ره)



وَأُوصِيكَ بِخَمْسٍ: إِنْ طَلِمْتَ فَلَا تَطْلِمْ، وَإِنْ خَانُوكَ فَلَا تَخُنْ، وَإِنْ كُذِّبْتَ فَلَا تَغْضَبْ، وَإِنْ مُدْرِحْتَ فَلَا تَفْرَحْ، وَإِنْ ذُمِمْتَ فَلَا تَجْزَعْ، وَفَكَرِّرْ فِيمَا قِيلَ فِيكَ، فَإِنْ عَرَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ مَا قِيلَ فِيكَ فَسُقُوطُكَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عِنْدَ غَضَبِكَ مِنَ الْحَقِّ أَعْظَمُ عَلَايِكَ مُصِيدَةً مِمَّا خِفْتَ مِنْ سُقُوطِكَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى خِلَافِ مَا قِيلَ فِيكَ فَثَوَابُ اِكْتِسَابِنَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّعَبَ بِدَنْكَ.

وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيًّا حَتَّى لَوْ اجْتَمَعَ عَلَايِكَ أَهْلُ مِصْرِكَ وَقَالُوا: إِنَّكَ رَجُلٌ سَوِيٌّ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ، وَلَوْ قَالُوا: إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كُنْتَ سَالِكًا سَبِيلَهُ زَاهِدًا فِي تَزْهِيدِهِ رَاغِبًا فِي تَرْغِيْبِهِ خَائِفًا مِنْ تَخَوُّفِهِ فَائْتِبْتُ وَأَبْشِرْ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُبَايِنًا لِلْقُرْآنِ فَمَاذَا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ؟ إِنَّ الْمَوْءُومِينَ مَعْنِي

بِمُجَاهِدَةٍ نَفْسِهِ لِيُغْلِبَ بِهَا عَلَيَّ هَوَاهَا، فَمَرَّةٌ يُقِيمُ أَوْدَهَا وَيُخَالِفُ
هَوَاهَا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَمَرَّةٌ تَصْرَعُهُ نَفْسُهُ فَيَتَّبِعُ هَوَاهَا
فَيَنْعَشُهُ اللَّهُ فَيَنْتَعِشُ، وَيُقِيلُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ فَيَتَذَكَّرُ وَيَفْزَعُ
إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَخَافَةِ فَيَزِدَادُ بِصِيرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ لِمَا زِيدَ فِيهِ مِنَ
الْخَوْفِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ?إِنَّ السَّادِّينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ
طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ?.

يَا جَابِرُ، اسْتَكْثِرْ لِنَفْسِكَ مِنَ اللَّهِ قَلِيلَ الرِّزْقِ تَخَلُّصًا إِلَيَّ
الشُّكْرِ، وَاسْتَقْلِلْ مِنْ نَفْسِكَ كَثِيرَ الطَّاعَةِ لِلَّهِ إِزْرَاءً عَلَيَّ النَّفْسِ
وَتَعَرُّضًا لِلْعَفْوِ، وَادْفَعْ عَنِ نَفْسِكَ حَاضِرَ الشَّرِّ بِحَاضِرِ الْعِلْمِ،
وَاسْتَعْمِلْ حَاضِرَ الْعِلْمِ بِخَالِصِ الْعَمَلِ، وَتَحَرَّزْ فِي خَالِصِ الْعَمَلِ مِنْ
عَظِيمِ الْغَفْلَةِ بِشِدَّةِ التَّيَقُّظِ، وَاسْتَجْلِبْ شِدَّةَ التَّيَقُّظِ بِصِدْقِ
الْخَوْفِ، وَاحْذَرْ خَفِيَّ التَّزْيِينِ بِحَاضِرِ الْحَيَاةِ، وَتَوَقَّ مَجَازِفَةَ
الْهَوَى بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ، وَقِفْ عِنْدَ غَلَبَةِ الْهَوَى بِاسْتِثْرَاءِ الْعِلْمِ،
وَاسْتَبِقْ خَالِصَ الْأَعْمَالِ لِيَوْمِ الْجَزَاءِ، وَانْزِلْ سَاحَةَ الْقِنَاعَةِ
بِرَاتِّقَاءِ الْحِرْصِ.

هذه فقرات من وصية الإمام الباقر عليه السلام لتلميذه جابر الجعفي (ره)، وهو يحدِّد من خلالها
مُوصفات الشخصية الاسلامية الحقيقية وكلَّ أبعادها، تلك التي يوفِّرها الرُّجوع إلى القرآن الكريم
في فكره ومفاهيمه ومقاييسه، وأنت حين تستقرئ هذه الفقرات الشامخة في معانيها ومضامينها، فإنَّك لا
بدَّ وأن تشعر ببصمات النبوة مشرقة بين حروفها بشكل يجعلك تقطع أنَّ قائلها ليس إنساناً عادياً
كسواه من الناس في عصره، وإنَّما له ارتباط وثيق بالمنابع الصافية المتدفقة بالفكر الإلهي الأصيل.
إنَّه وريث جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حمل الرِّسالة الخاتمة في تلك الفترة من تاريخ
الإنسان.